فضائلُ الإمامِ علي عليه السلام في كتبِ التفسير الأندلسية
دراسةٌ تحليليةٌ

م.د. ستار جليل عجيل
مديرية التربية في ذي قار

The virtues of Imam Ali (pbuh) in the Andalusian books of interpretation - an analytical study

Asst.Dr. Sattar Jalil Ajeel
Directorate of Education in Dhi Qar
Email: sataar212@gmail.com

ملخص البحث

بعد فتح المسلمين لبلاد الأندلس أخذ القرآن الكريم يُدرّس في المساجد بعد أن نقله الفاتحون التي تلك الأصقاع البعيدة، وعندها أخذ الناس تتساءل عن الغريب فيه ؛ لذلك ظهرت الحاجة الى تبيين الغموض الذي فيه لاسيما وأنّ القرآن الكريم لم يكن بلغتهم المألوفة ؛ لذلك كانوا قليلي المعرفة به فظهرت الحاجة الى تفسير بعض آياته ، إذ إنّ نشأة التفسير في الأندلس كانت تختلف عن نشأته في المشرق ففي المشرق كانت نشأته ولادة وتكوين، أمّا في الأندلس فهي تلقٍ وإضافة، وقد ظهرت فضائل الإمام علي عليه السلام في العديد من التفاسير الأندلسية بشكل جلي وواضح فمنها ما جاء في القرآن الكريم ، ونقلته التفاسير ومنها من جاء على لسان النبي صلى الله عليه وآله .

وقد جاء البحث على ثلاث مباحث الاول منها : تضمن الحديث عن التفسير عند أهل الأندلس، وكيف برعوا فيه؟ ومن هم الأعلام الذين خاضوا عباب ذلك البحر الزاخر، أما المبحث الثاني : فقد تحدثنا فيه عن فضائل أمير المؤمنين التي خصه بها القرآن الكريم أي بمعني الآيات القرآنية التي نزلت بحقه، وأقرّ بها أهل الأندلس في تفاسيرهم، وقد بينت تلك الآيات فضيلة من فضائله عليه السلام.

أمّا المبحث الثالث : فقد ضمّ فضائله التي جاءت على لسان النبي صلى الله عليه وآله ، وقد تناولنا بعضها لشهرتها بين أهل التفاسير وإقرارهم بها له دون غيره وفي نهاية البحث ذكرنا أهم النتائج والتوصيات تلتها أهم المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث.

الكلمات المفتاحية : فضائل ، الامام علي ، كتب التفاسير ، الاندلس .

Abstract

After the Muslims conquered Andalusia, the Holy Qur'an began to be taught in the mosques after the conquerors transported it to those distant regions, and then people began to wonder what was strange about it. Therefore, the need arose to clarify the ambiguity in it, especially since the Holy Qur'an was not in their language, so they had little knowledge of it. Therefore, the need arose to interpret some of its verses, as the origin of interpretation in Andalusia was different from its origin in the East. In the East, its origin was birth and formation, while in Andalusia, it was reception and addition, and the virtues of Imam Ali (peace be upon him) appeared clearly and clearly in many Andalusian interpretations. Some of them are what came in the Holy Qur'an and were transmitted by interpretations, and some of them came on the tongue of the Prophet, peace and blessings be upon him. The research consisted of three sections, the first of which included talking about interpretation among the people of Andalusia, and how they excelled at it? And who are the eminent people who waded through that abundant sea? As for the second topic, we talked about the virtues of the Commander of the Faithful that the Noble Qur'an assigned to him, that is, in the meaning of the Qur'anic verses that were revealed against him, and the people of Andalusia acknowledged them in their interpretations, and those verses

demonstrated one of his virtues (peace be upon him).). As for the third section, it included his virtues that came from the mouth of the Prophet, may God bless him and grant him peace, and we discussed some of them due to their fame among the people of interpretation and their acknowledgment of them to him alone. At the end of the research, we mentioned the most important results and recommendations, followed by the most important sources and references that the research relied on. Introductory words: Virtues, Imam Ali, books of interpretations, Al-Andalus.

Keywords: virtues, Imam Ali, books of interpretations, Al-Andalus.

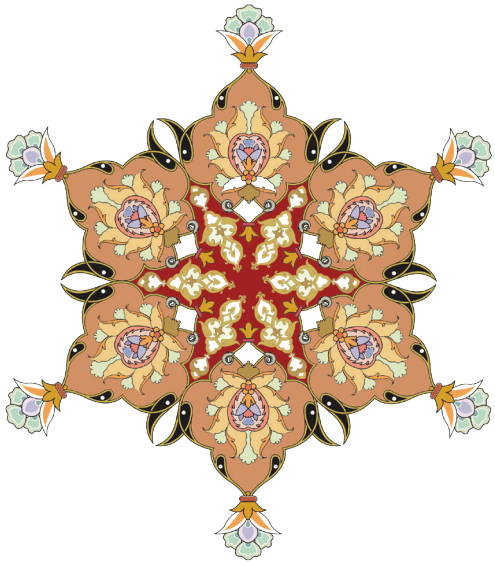

المقدمة

لم تكن أرض الاندلس على الرغم من بعدها عن المشرق العربي بعيدة عن أهل البيت عليهم السلام ، فقد ظهرت لمساتهم العلمية والتفسيرية في كتب أهل الاندلس، ولاسيما التفاسير الاندلسية منها وقد حفلت بالكثير من فضائل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام لكن نجدها في بعض الاحيان قد اشركت بعض الاشخاص فيها ، وهو ما وضحناه في البحث وقد جاء البحث على ثلاث مباحث الاول منها : تضمن الحديث عن التفسير عند أهل الأندلس، وكيف برعوا فيه؟ ومن هم الأعلام الذين خاضوا عباب ذلك البحر الزاخر، أمّا المبحث الثاني: فقد تحدثنا فيه عن فضائل أمير المؤمنين التي خصه بها القرآن الكريم أي بمعني الآيات القرآنية التي نزلت بحقه، وأقرّ بها أهل الأندلس في تفاسيرهم، وقد بينت تلك الآيات فضيلة من فضائله عليه السلام.

أما المبحث الثالث : فقد ضمّ فضائله التي جاءت على لسان النبي صلى الله عليه وآله، وقد تناولنا بعضها لشهرتها بين أهل التفاسير، وإقرارهم بها له دون غيره وفي نهاية البحث ذكرنا أهم النتائج والتوصيات تلتها أهم المصادر والمراجع التي اعتمدها البحث.

المبحث الأول

تفسير القرآن عند أهل الأندلس وأعلامه:

بعد فتح المسلمين لبلاد الأندلس أخذ القرآن الكريم يُدرّس في المساجد بعد أن نقله الفاتحون التي تلك الأصقاع البعيدة، وعندها أخذ الناس تتساءل عن الغريب فيه؛ لذلك ظهرت الحاجة الى تبيين الغموض الذي فيه لاسيما ، وأنّ القرآن الكريم لم يكن بلغتهم لذلك كانوا قليلي المعرفة به؛ لذلك ظهرت الحاجة الى تفسير بعض آياته إذ إنّ نشأة التفسير في الأندلس اختلفت عن نشأته في المشرق ففي المشرق كانت نشأته ولادة وتكوين، أمّا في الأندلس فهي تلقٍ وإضافة، وقد ظهر أثر الإمام علي عليه السلام في العديد من التفاسير الأندلسية بشكل جلي وواضح مما يعكس لنا البيئة

الشيعية الأندلسية ومدى تأثرها ببعض الأفكار الشيعية، ومن أهم أعلام التفسير في الأندلس ما يأتي :

١ – بقى بن مخلد : هو أبو عبد الرحمن بقيّ بن مخلد القرطبي الأندلسي، من أعلام بلاد الأندلس ولد في قرطبة بالأندلس عام ٢٠١ للهجرة [١] من المشهورين في التفسير بل إنه كان في مقدمة المفسرين في بلاد الأندلس ، ومن مصنفات أبي عبد الرحمن بقى بن مخلد: كتابه في تفسير القرآن، فهو الكتاب الذي أقطع قطعًا لا أستثنى فيه أنّه لم يؤلف في الإسلام مثله، ولا تفسير محمد بن جرير الطبري، ولا غيره ، ومنها في الحديث مصنفه الكبير الذي رتبه على أسماء الصحابة (رضي الله عنهم)، فروى فيه عن ألف وثلاث مائة صاحب، ونيف، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند، وما أعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته، وضبطه، وإتقانه، واحتفاله فيه في الحديث، وجودة شيوخه، فإنّه روى عن مائتي رجل وأربعة وثمانين رجلًا ليس فيهم عشرة ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير، لكن مما يؤسف له أنّ تفسيره هذا قد فقد ولم يصل إلينا ربما بسبب ميوله الشيعية ، ومروياته الكثيرة عن الامام علي عليه السلام فقد روي كتابه الذي ظهر في ذيل الحوض الذي جمعه ابن بشكول فقال:((وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ مَا أخرتك إِلَّا لنَفْسي فَأَنت عِنْدِي بِمَنْزِلَة هَارُون من مُوسَى غير أَنه لَا نَبِي بعدِي وَأَنت أخي ووزيري ووارثي قَالَ يَا رَسُول الله وَمَا أرث مِنْك قَالَ كتاب الله وسنتي وَأَنت معي فِي قصري مَعَ فَاطِمَة ابْنَتي وَأَنت أخي ورفيقي ثمَّ تَلا رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم (إِخْوَانًا على سرر مُتَقَابلين)[٢] المتحابين فِي الله ينظر بَعضهم إِلَى بعض))[٣] وغيرها الكثير من الروايات التي تدل على نزعته الشيعية.

(١) جذوة المقتبس/ الحميدي ، ١٧٧ .
(٢) سورة الحجر ، الآية : ٤٧ .
(٣) الذيل على جزء بقي بن مخلد من أحاديث الحوض، ١٢٦ .

٢- ابن العربي: :((من أهل إشبيلية يكنى: أبا بكر، الإمام العالم الحافظ المستبحر ختام علماء الأندلس، وآخر أئمتها وحفاظها. لقيته بمدينة إشبيلية حرسها الله ضحوة يوم الاثنين لليلتين خلتا من جمادى الآخرة من سنة ست عشرة وخمسمائة فأخبرني (رحمه الله) أنه رحل مع أبيه إلى المشرق يوم الأحد مستهل ربيع الأول من سنة خمس وثمانين وأربع مائة ، وأنه دخل الشام ولقي بها أبا بكر محمد بن الوليد الطرطوشي وتفقه عنده، ولقي بها جماعة من العلماء والمحدثين))[١] ، وقد أبدع في تفسير القرآن، وكان كثيرًا ما يردد الأحاديث النبوية ، وبعض الحوادث التي تدعم تفسير الآية، وقد كانت صورة الإمام علي ﷺ في تفسيره واضحة وناصعة ، فكان كثيرًا ما يستشهد بأقوال الإمام علي وتفسيره فعندما حدث جدال في حمل المرأة وولاتها لستة أشهر أورد تفسير الإمام علي ﷺ فقال ((قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - : أَقَلُّ الْحَمْلِ سِتَّةُ أَشْهُرٍ؛ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْرًا ﴾[٢] ثُمَّ قَالَ تَعَالَى:﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾[٣] فَإِذَا أَسْقَطْتَ حَوْلَيْنِ مِنْ ثَلَاثِينَ شَهْرًا بَقِيَتْ مِنْهُ سِتَّةُ أَشْهُرٍ؛ وَهِيَ مُدَّةُ الْحَمْلِ؛ وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الِاسْتِنْبَاطِ)) .[٤]

٣- عبد الحق بن عطية : عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَالِبِ بْنِ تمام بن عبد الرؤف بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ تَمَّامِ بْنِ عَطِيَّةَ الدَّاخِلُ إِلَى الْأَنْدَلُسِ ابْنِ خَالِدِ بْنِ خَفَّافٍ الْمُحَارِبِيُّ، من قبيلة قيس غيلان بن مضر من أهل غرناطة ولد بها سنة ٤٨١هـ مع بداية عهد دولة المرابطين التي كانت تعرف بدولة الفقهاء، مِنْ أَهْلِ غَرْنَاطَةَ وَأَحَدُ رِجَالَاتِ الْأَنْدَلُسِ الْجَامِعِينَ إِلَى الفقه والحديث والتفسير وَالْأَدَبَ ، وَبَيْتُهُ عَرِيقٌ فِي الْعِلْمِ[٥]، وتتلمذ على كبار علماء الأندلس، فهو لم يرحل كما رحل غيره

(١) الصلة ، ٥٥٨ .
(٢) سورة الأحقاف ، الآية : ١٥ .
(٣) سورة البقرة ، الآية : ٢٤٣ .
(٤) أحكام القرآن/ ابن العربي ، ١/ ٢٧٣.
(٥) معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي/ ابن الأبار ، ٢٦٥ .

من علماء الأندلس بسبب ظروف بلاده آنذاك، كان فقيهًا عالمًا بالتفسير والأحكام والحديث، وكانت له اليد الطولى في اللغة والأدب والشعر.[1]

وقد تأثر كثيرًا ابن عطية بتفسير الإمام علي ﷺ فظهرت تفاسيره على أغلب الآيات القرآنية التي يردها في تفسيره، وقد أشاد ابن عطية بشخصية الإمام علي ﷺ وتفسيره فقال : ((ومعظم ما روي من التفسير عن الخلفاء الراشدين هو عن عليّ (كرّم الله وجهه) ؛ وذلك لبعده عن مهام الخلافة إلى نهاية خلافة عثمان، ثم إنّه نشأ في بيت النبوة، وترعرع في كنف رسول الله (صلى الله عليه وسلم فنهل من علمه، ثم زوّجه صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة الزهراء، وقد دخل على تفسيره الشيء الكثير مما لم يقل به ولم يعلمه، إنّما نسبه إليه غلاة الشيعة، فإذا ما ثبت عنه قول صحيح النسبة إليه- كذلك يقول سعيد بن جبير (لم نعدل إلى غيره) ، وقد قال عليّ عن نفسه وهو يخطب سلوني، فو الله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به، وسلوني عن كتاب الله فو الله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل، وقال- فيما رواه ابن سعد: ((والله ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم نزلت، وأين نزلت، وعلام نزلت، إنّ ربي وهب لي قلبا عقولا، ولسانا ناطقا، وقال أبو عبد الرحمن السلمي: ما رأيت ابن أنثى أقرأ لكتاب الله من علي)) .[2]

وقد كان منصفًا في تفسيره هذا بحق الإمام علي ﷺ فكثيرا ما يقول الحق ويشيد بالإمام علي ﷺ لاسيما في الجانب التفسيري فيقول :((فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه)، ويتلوه عبد الله بن العباس (رضي الله عنهما)، وهو تجرد للأمر وكمله وتتبعه، وتبعه العلماء عليه، كمجاهد، وسعيد بن جبير، وغيرهما، والمحفوظ عنه في ذلك أكثر من المحفوظ عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)))[3] ، ليس هذا فحسب بل إنّه كان يعد كل ما خرج من تفسير عن

(١) المصدر نفسه ، ٢٦٦ .
(٢) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز/ ابن عطية ، ١/ ١٣ .
(٣) المصدر نفسه ، ١/ ٤١ .

ابن عباس فهو مأخوذ من الإمام علي ﷺ فقال:((وقال ابن عباس: ما أخذت من تفسير القرآن فعن علي بن أبي طالب وكان علي بن أبي طالب يثني على تفسير ابن عباس ويحث على الأخذ عنه)).[1]

٤- ابو عبد الله القرطبي: هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله، القرطبي من كبار المفسرين، صالح متعبد، من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق واستقر بمصر، وتوفي فيها سنة ٦٧١ هـ ، من كتبه الجامع لأحكام القرآن[2] ، وقد كان الانصاري حريصا على ذكر مناقب الإمام علي ﷺ في تفسيره ، فكان يكثر منها ربما خلفيته الأنصارية هي التي دفعته الى ذلك فكان يقول في صدر المفسرين والمؤيد منهم هو الإمام علي ﷺ، وكان يعد كل ما كتب من التفاسير عن الصحابة فهو عن الإمام علي ﷺ، وفي ذلك يقول: ((وَكُلُّ مَا أُخِذَ عَنِ الصَّحَابَةِ فَحَسَنٌ مُقَدَّمٌ لِشُهُودِهِمُ التَّنْزِيلَ وَنُزُولِهِ بِلُغَتِهِمْ ، وَعَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ قَالَ: شَهِدْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) يَخْطُبُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا حَدَّثْتُكُمْ بِهِ، سَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللهِ، فَوَاللهِ مَا مِنْ آيَةٍ الا أنا أعلم أبليل نزلت أم بِنَهَارٍ، أَمْ فِي سَهْلٍ نَزَلَتْ أَمْ فِي جَبَلٍ)).[3]

٥- ابن جزي الكلبي:

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جزيّ الكلبي، من أهل غرناطة، ويعرف بابن جزيّ، من أهل الفضل والنّزاهة، والهمّة، وحسن السّمة، واستقامة الطّريقة، غرب في الوقار، ومال إلى الانقباض، وترشّح إلى رتب سلفه ، له مشاركة حسنة في فنون، من فقه وعربيّة ،

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ١/ ٤١ .
(٢) الاعلام/ الزركلي ، ٥/ ٣٢٢ .
(٣) الجامع لأحكام القرآن/ القرطبي ،١/ ٣٥ .

وأدب، وحفظ ، وشعر، تسمو ببعضه الإجادة إلى غاية بعيدة[1]، وظهر أثر الإمام علي عليه السلام في تفسيره واضحا، وكان الجزي من المتأوهين على القرآن الذي جمعه الإمام علي فذكر لو وصل لنا لكان فيه علم كثير، وفي ذلك يقول : ((وكان القرآن على عهد رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) متفرقا في الصحف وفي صدور الرجال، فلما توفي رسول الله (صلّى الله عليه وسلّم) قعد عليّ بن أبي طالب (رضي الله عنه في بيته)، فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، ولكنه لم يوجد))[2] ، وربما نشأته في الدولة الناصرية في غرناطة هي التي دعت الى ميوله الشيعية ، وإن لم تكن تظهر في كتب التاريخ بيدَ أنّ استشهاده بالكثير من الروايات عن الإمام علي وأهل بيته هي التي دعتنا نقول بذلك.

٦- أبو حيان : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان النّفزي، من أهل غرناطة، يكنى أبا حيان، ويلقب من الألقاب المشرقية بأثير الدين، كان نسيج وحده في ثقوب الذهن، وصحّة الإدراك والحفظ، والاضطلاع بعلم العربية، والتفسير وطريق الرواية، توفي سنة ٧٤٥هـ[3] ، روى في تفسيره الكثير من المرويات عن اهل البيت عليهم السلام أمّا أكثر مروياته فقد كانت عن الإمام علي عليه السلام، وكان ينقل بعض الروايات بحق الإمام علي عليه السلام،وفي ذلك الصدد يقول في آية أنفسنا وأنفسكم : ((وذلك أنّ قوله تعالى : ﴿ وَأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ ﴾ ليس المراد نفس محمد (صلى الله عليه وسلم)؛ لأن الإنسان لا يدعو نفسه، بل المراد غيره، وأجمعوا على أنّ الذي هو غيره : عليّ ، فدلت الآية على أنّ نفسه نفس الرسول، ولا يمكن أن يكون عينها، فالمراد مثلها، وذلك يقتضي العموم إلاَّ أنّه ترك في حق النبوّة الفضل لقيام الدليل ، ودلّ الإجماع على أنّه كان صلى الله عليه وآله أفضل من سائر الأنبياء، فلزم أن يكون عليّ كذلك. قال : ويؤكد ذلك الحديث المنقول عنه من الموافق والمخالف : (من أراد أن يرى آدم في علمه،

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة/ ابن الخطيب ، ١/ ٥٣ .
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل، ١ / ١٢ .
(٣) الإحاطة ، ٣/ ٢٨ .

ونوحاً في طاعته، وإبراهيم في حلمه، وموسى في قومه، وعيسى في صفوته فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب))[1]، وكان يروي في حبّ أهل بيت الرسول فقال :((وقال محمد بن الحنفية : لا تجد مؤمنًا إلّا وهو يحب عليًا وأهل بيته)).[2]

المبحث الثاني

فضائل الامام علي عليه السلام في القرآن الكريم :

كثرت فضائل أمير المؤمنين حتى ملأت ما بين الخافقين ، وقد اعتمد أهل النظر في تفضيل الإمام علي عليه السلام دون غيره الى أمور ثلاث هي: ظواهر الاعمال، والسمع الوارد بمقادير الثواب وما دل عليه من الكلام، والمنافع في الدين من الأفعال وبتعبير أدق حددت خصال الفضل ووجوهه بـ (السبق الى الإسلام، والتسليم لله ورسوله في أمور الدين والدنيا، والعلم بالدين والزهد بالدنيا) ، ومنازل التفضيل تتصل بشيئين: أحدهما كثرة الأعمال والاخلاص بها من أجل الحصول على الثواب من الله دون غيره، والآخر التفضل من الله تعالى لشخص محدد دون غيره والاختصاص به فإنه يختص برحمته من يشاء.

على أنّ التفضيل الذي اختص به الإمام علي عليه السلام جاء من جهد شخصي وتفضيل وتميز إلهي، وعن فضل أمير المؤمنين عليه السلام في القرآن الكريم قد بيّنه ابن عساكر فقال: ((عن ابن عباس قال ما ذكر الله في القرآن " يا أيها الذين آمنوا " إلّا وعلي شريفها وأميرها، ولقد عاتب الله أصحاب محمد في أي من القرآن وما ذكر عليا إلّا بخير)).[3]

كذلك قال : ((عن ابن عباس قال ما نزل الله في شأن أحد من القرآن كما نزل في علي)[4]، وقد أورد القرآن الكريم الكثير من الفضائل لأمير المؤمنين، وقد ظهرت

(١) التفسير المحيط ،١/ ٢٣.
(٢) المصدر نفسه، ٥/ ٣٠٥ .
(٣) تاريخ دمشق/ ابن عساكر ، ٤٢/ ٣٦٣.
(٤) المصدر نفسه ، ٤٢/ ٣٦٣.

جلية في كتب التفاسير الأندلسية، ومنها :

أولًا : الزهد في الدنيا والإنفاق في سبيل الله :

جاء في كتب التفسير بعض الآيات التي تدل على زهد أمير المؤمنين وإنفاق أمواله في سبيل الله تعالى، وقد ذكرت في تفسير قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1] ، العديد من الآراء في سبب نزول هذه الآية فبعضها تريد أن تبعد هذه الفضيلة عن أمير المؤمنين ، أو تشرك معه بها بعض الأشخاص، فمكي بن أبي طالب عندما فسّر هذه الآية ذكر أنّها نزلت في علي بن أبي طالب فقال ((قال ابن عباس: نزلت في علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) كانت معه أربعة دراهم فأنفق بالليل درهمًا، وبالنهار درهمًا، وسرا درهمًا، وعلانية درهمًا))[2] ، لكنه ذكر رأيًا آخر في تفسيرها لا يمكن الركون إليه؛ لأنه لا ينسجم مع تفسيرها فيقول إنها نزلت في أصحاب الخيل إذ قال: ((وقال أبو أمامة: نزلت في أصحاب الخيل ... الذين يربطون الخيل في سبيل الله ينفقون عليها بالليل والنهار، وروي ذلك عن أبي الدرداء، وعلى أنها في الخيل أكثر أهل التفسير)).[3]

لكن عندما نأتي لنناقش هذا الرأي لا يصمد أمام العقل كيف نزلت في أصحاب الخيل فهل هم ينفقون على الخيل سرًا وعلانية؟ لماذا إذن (سرًا) مادامت هي مربوطة في سبيل الله، وذيل التفسير يبين لنا مدى الميل الذين مال إليه صاحب هذا التفسير في نفي تلك الفضيلة عن أمير المؤمنين فقل إنّ أكثر أهل التفاسير يقولون إنها نزلت في الخيل.

أما ابن عطية فقد قدم ثلاثة آراء في سبب نزول هذه الآية كان المقدم فيها هو أنّها نزلت في الإمام علي عليه السلام فقال ((قال عبد الله بن عباس: نزلت هذه الآية في علي

(١) سورة البقرة ،الآية : ٢٧٤ .
(٢) الهداية الى بلوغ النهاية / مكي بن أبي طالب ، ٩٠٥
(٣) المصدر نفسه، المكان نفسه.

بن أبي طالب (رضي الله عنه)كانت له أربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية))[١]، أمّا الرأي الثاني فقال إنهّا نزلت في علف الخيل والمرتبطة في السبيل، أمّا الثالث فعن قتادة قال : إنّ هذه الآية في المنفقين في سبيل الله من غير تبذير ولا تقتير.[٢]

ثم بعد ذلك ناقش هذه الآية المباركة ونقل رأيًا جميلًا يمكن عبره أن نستشف أنّه مقرٌ بأنّ هذه الآية تدل على فضيلة من فضائل الإمام علي عليه السلام فقال ((قال القاضي أبو محمد رضي الله عنه: والآية وإن كانت نزلت في علي رضي الله عنه، فمعناها يتناول كل من فعل فعله ، وكل مشاء بصدقته في الظلم إلى مظنة ذي الحاجة)).[٣]

أمّا القرطبي فقد قدّم الرأي الخطأ على الرأي الصواب فقال : إنّها نزلت في علف الخيل فقال ((رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي ذَرٍّ وَأَبِي أُمَامَةَ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ بِشْرٍ الْغَافِقِيِّ وَالْأَوْزَاعِيِّ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلَفِ الْخَيْلِ الْمَرْبُوطَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ))[٤]، ثم بعدها ليعود ويقول إنّها نزلت في علي بن ابي طالب ، فقال : ((وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كَانَتْ مَعَهُ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ فَتَصَدَّقَ بِدِرْهَمٍ لَيْلًا وَبِدِرْهَمٍ نَهَارًا وَبِدِرْهَمٍ سِرًّا وَبِدِرْهَمٍ جَهْرًا، ذَكَرَهُ عَبْدُ الرَّزَّاقِ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَهَّابِ بْنُ مُجَاهِدٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، ابْنُ جُرَيْجٍ: نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ فَعَلَ ذَلِكَ، وَلَمْ يُسَمِّ عَلِيًّا وَلَا غَيْرَهُ)).[٥]

هذا التفصيل في التفسير من ذكر الدراهم وإنفاقها بالليل والنهار يرشدنا الى القول أنّها نزلت بحق الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام ، أمّا أبو حيان فقد وسع دائرة النزول فذكر جميع الآراء التي ذكرت سبب النزول، ومنه علف الخيل والإنفاق في

(١) المحرر الوجيز ، ٣٧٠.
(٢) المصدر نفسه، المكان نفسه.
(٣) المصدر نفسه، المكان نفسه.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ، ٣/ ٣٦٤
(٥) المصدر نفسه، المكان نفسه.

سبيل الله، وقد أضاف لها رأيًا آخر لم يذكره الذين سبقوه فقال: إنها نزلت بحق أبي بكر ((وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ، تَصَدَّقَ بِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِينَارٍ: عَشَرَةٌ بِاللَّيْلِ، وَعَشَرَةٌ بِالنَّهَارِ، وَعَشَرَةٌ فِي السِّرِّ، وَعَشَرَةٌ فِي الْجَهْرِ)). [1]

وهذا الرأي لا يمكن الأخذ به لسببين : الأول إنّ كل المفسرين الأندلسيين الذين تكلموا عن سبب نزول هذه الآية لم يذكروا ما ذكره ابن حيان بحق أبي بكر، والأمر الآخر ذكر هذا الرأي من دون سند واكتفى بكلمة قيل على العكس من ذكرها في انها نزلت بحق الإمام علي عليه السلام فقال ((وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَالْكَلْبِيُّ: نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ، كَانَتْ عِنْدَهُ أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ، قَالَ الْكَلْبِيُّ، لَمْ يَمْلُكْ غَيْرَهَا، فَتَصَدَّقَ بِدِرْهَمٍ لَيْلًا، وَبِدِرْهَمٍ نَهَارًا، وَبِدِرْهَمٍ سِرًا، وَبِدِرْهَمٍ عَلَانِيَةً ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا: نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ بَعَثَ بِوَسَقِ تَمْرٍ إِلَى أَهْلِ الصُّفَّةِ لَيْلًا))[2] كذلك مما يشكك في ذلك الرأي، والقول بأنه موضوع القول بـــ(أربعون درهما) فقد جاء في نفس سياق إنفاق الإمام علي عليه السلام ؛ لأن هناك أربع دراهم وهنا أربعون .

مما تقدم يمكن القول: إنها فضيلة من فضائل الامام علي عليه السلام التي ذكرها القرآن الكريم، وقد أثبتتها كتب التفسير، وإن حاولت أن تلوي عنان النص ونسبه الى غير الإمام لكن هذا الإجماع يدل على أنّها نزلت بحقه.

ثانيًا : النفس والولاية

بعد الجدال الذي حدث بين نصارى نجران والنبي محمد صلى الله عليه وآله بحق السيد المسيح عليه السلام أنزل الله تعالى قوله تعالى ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[3] هذه الآية المباركة، وإن كان سبب نزولها هذا؛ لأنّها أثبتت فضيلة لأمير المؤمنين علي بن ابي طالب، وهي مفردة أنفسنا وأنفسكم،

(١) البحر المحيط ، ٢/ ٧٠١.
(٢) البحر المحيط ، المكان نفسه.
(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٦١ .

وقد ذكرت كتب التفسير الأندلسية لهذه المفردة العديد من الآراء بعضها كان منصفًا، وبعضها الآخر لم يكن كذلك ، فمكي بن ابي طالب فسّر أنّ مفردة أنفسنا تعني أهل ديننا فقال ((قوله: ﴿ وَأَنْفُسَنَا وأَنْفُسَكُمْ ﴾ أي: أهل ديننا ودينكم فرضوا بالجزية وبأشياء شرطها عليهم يؤدونها))[1] ،وهذا لا يمكن أن يقول به عاقل لأمرين: أحدهما تفكري، والآخر واقعي، أمّا التفكري فهل يعقل أنّ كلّ أهل الدين الإسلام هم نفس رسول الله هذا أمر لا يمكن القول به ، أمّا الواقعي فإنّ الرسول (صلى الله عليه وآله) عندما واعد أهل نجران على المباهلة في اليوم الثاني لم يأتِ بأهل دينه، وإنما أتى بأهل بيته، والأبناء هم الحسنان والنساء هي فاطمة، والنفس هو الإمام علي ﷺ ، وقد أثبت هو ذلك بتفسيره على أنّه لم يكن معه غير هؤلاء الأربعة ، فقال: ((وروي أنّهم قالوا: نباهلك فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم بيد علي وفاطمة والحسن والحسين، فلما رأوا ذلك نكصوا وعلموا أنّ اللعنة عليهم واقعة، فرضوا بالجزية ولم يباهلوا)). [2]

أمّا ابن عطية فلم يُخُضْ بمفردة أنفسنا؛ لأنّه أثبت من خرج معه للمباهلة ، فقال : ((وروى السدي وغيره أن النبي ﷺجاء هو وعلي وفاطمة والحسن والحسين ودعاهم فأبوا وجزعوا وقال لهم أحبارهم: إن فعلتم اضطرم الوادي عليكم نارا فصالحوا النبي عليه السلام على ثمانين ألف درهم))[3] ، كذلك القرطبي لم يعطِ رأيًا في هذه المفردة، ولعل أبرز من خاض بها وناقشها نقاشًا مستفيضًا هو أبو حيان فقال: ((وَفُسِّرَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ: الْأَبْنَاءُ بالحسن والحسين، و: بنسائه: فاطمة، و: الأنفس بِعَلِيٍّ))[4] ، ثم بعد ذلك ذكر العديد من الآراء بمفردة أنفسنا فقال : ((وَقِيلَ: الْمُرَادُ: بِأَنْفُسِنَا، الْإِخْوَانُ، قَالَهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ قَالَ تَعَالَى: وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ[5]

(١) الهداية ،١٠٧٣.
(٢) المصدر نفسه، المكان نفسه.
(٣) المحرر الوجيز ، ٤٤٥.
(٤) البحر المحيط ، ٣/ ١٨٨.
(٥) سورة الحجرات ، الآية : ١١ .

أَيْ: إِخْوَانَكُمْ. وَقِيلَ: أَهْلَ دِينِهِ، قَالَهُ أَبُو سُلَيْمَانَ الدِّمَشْقِيُّ. وَقِيلَ: الْأَزْوَاجَ، وَقِيلَ: أَرَادَ الْقَرَابَةَ الْقَرِيبَةَ، ذَكَرَهُمَا عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ النَّيْسَابُورِيُّ)). (١)

ثم يذكر رأيًا يقول مما احتج به الاثنا عشرية بأنّ الإمام علي هو نفس الرسول فقال: ((وَمِنْ أَغْرَبِ الِاسْتِدْلَالِ مَا اسْتَدَلَّ بِهِ مِنَ الْآيَةِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْحِمْصِيُّ، وَكَانَ مُتَكَلِّمًا عَلَى طَرِيقِ الاثني عَشْرِيَّةَ، عَلَى: أَنَّ عَلِيًّا أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ سِوَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: وَذَلِكَ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ لَيْسَ الْمُرَادُ نَفْسَ محمد صلى الله عليه وَسَلَّمَ، لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَدْعُو نَفْسَهُ، بَلِ الْمُرَادُ غَيْرُهُ. وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الَّذِي هُوَ غَيْرُهُ: عَلِيٌّ، فَدَلَّتِ الْآيَةُ عَلَى أَنَّ نَفْسَهُ نَفْسُ الرَّسُولِ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ عَيْنَهَا، فَالْمُرَادُ مِثْلُهَا، وَذَلِكَ يَقْتَضِي الْعُمُومَ إِلَّا أَنَّهُ تَرَكَ فِي حَقِّ النُّبُوَّةِ الْفَضْلَ لِقِيَامِ الدَّلِيلِ، وَدَلَّ الْإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّهُ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أفضل مِنْ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ، فَلَزِمَ أَنْ يَكُونَ عَلِيٌّ كَذَلِكَ)). (٢)

فعد ذلك غريبًا ولم ندرِ أين الغرابة في ذلك ؟ ثم ليكمل النقاش، فيقول وَقَالَ الرَّازِيُّ: اسْتِدْلَالُ الْحِمْصِيِّ فَاسِدٌ مِنْ وُجُوهٍ، مِنْهَا قَوْلُهُ: إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَدْعُو نَفْسَهُ بَلْ يَجُوزُ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَدْعُوَ نَفْسَهُ، تَقُولُ الْعَرَبُ: دَعَوْتُ نَفْسِي إِلَى كَذَا فَلَمْ تُجِبْنِي، وَهَذَا يُسَمِّيهِ أَبُو عَلِيٍّ بِالتَّجْرِيدِ. (٣)

وهذا الرأي مجانب للصواب؛ لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله عندما دعا نفسه لم يخرج بنفسه وحده ومعه الحسنان وفاطمة فقط، وإنّما كان معه الامام علي عليه السلام، وهذا الامر يثبت بأن نفس الرسول هي نفس الامام علي؛ لأنّه كان معه حين المباهلة فضلًا عن ذلك فإن الأمر الذي دعا للمباهلة أمر شرعي وحقيقي يراد منه إثبات الحق فلا يمكن للنبي أن يدعو نفسه، وهو موجود فعلًا، والقرآن دقيق في كل شيء، إذن المراد بنفس الرسول هو شخص آخر يحمل كل المواصفات التي يحملها الرسول، وهو الامام

(١) البحر المحيط، ٣/ ١٨٨.
(٢) المصدر نفسه، ٣/ ١٨٩.
(٣) المصدر نفسه، المكان نفسه.

علي عليه السلام.

وأبو حيان يعترف بالمماثلة بين نفس الرسول ونفس الإمام علي لكن يقف عند أمر واحد فقط ، وهو أنّ الإمام علي من نفس عشيرة الرسول صلى الله عليه وآله فقال((فَيَكُونُ نَفْسُهُ مِثْلَ نَفْسِهِ، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْمُمَاثَلَةِ أَنْ تَكُونَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ، بَلْ تَكْفِي الْمُمَاثَلَةُ فِي شَيْءٍ مَا... فَعَلَى هَذَا تَكْفِي الْمُمَاثَلَةُ فِي صِفَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهِيَ كَوْنُهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: هَذَا مِنْ أَنْفُسِنَا، أَيْ: مِنْ قَبِيلَتِنَا))[1] . لكن عندما نتتبع خطوات الامام علي عليه السلام نجدها تماثل خطوات الرسول في كل شيء ، فما حصل لمناقب وفضائل للرسول صلى الله عليه وآله قد حصل للإمام علي، ومما لاشك فيه أنّ الرسول هو أفضل الخلق، فلما كان الإمام علي عليه السلام مساويًا له في تلك الفضائل، وجب أن يكون أفضل الخلق؛ لأنّ المساوي للأفضل يجب أن يكون أفضل.

أمّا مسألة الولاية فلها ارتباط كبير بمسألة النفس فالأخيرة كانت مقدمة من أجل إتمام الأولى أي بمعنى إذا انتقل الرسول صلى الله عليه وآله الى الرفيق الاعلى ، فإنّ نفسه تخلفه في حكم المسلمين، وهو الإمام علي عليه السلام،وقد جاءت تلك الفضيلة لأمير المؤمنين في كتب التفسير الأندلسية على نحو التشكيك أحيانًا والإثبات أحيانًا أخرى؛ لأنّ الحق يبان وأنّ حجبته الحجج الواهية ، ففي قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[2] أثبتت كتب التفسير هذه الفضيلة للإمام علي عليه السلام، فقاها إنّها نزلت في علي بن ابي طالب ، فقد ذكر مكي بن ابي طالب : أنّ هذه الآية قد حذرت المسلمين من اتخاذ اليهود والنصارى أولياء[3] ، ثم يقول وبينت لهم من هو وليهم هو الله والرسول والذين آمنوا، وقد أثبت أنّ هذه الآية قد نزلت في علي بن أبي طالب ، فقال: ((وأذن بلال بالصلاة، فخرج رسول الله والناس يصلون بين قائم وراكع وساجد، وإذا هو بمسكين يسأل،

(١) البحر المحيط ، ٣/ ١٨٩.
(٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٥ .
(٣) الهداية ، ٣/ ١٧٨٦.

فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: هل أعطاك أحد شيئًا؟ قال: نعم، قال: ماذا؟ قال: خاتم من فضة، قال: مَن أعطاكَ؟ قال: ذلك الرجل القائم، فإذا هو عليّ، قال: على أي حال أعطاك؟ قال: أعطانيه وهو راكعٌ. فزعموا أن رسول الله كبَّر عند ذلك))[1]، على أنّ ابن عطية كان أكثر تفصيلاً من مكي فقد بيّن من هم الذين آمنوا فقال ((وقوله:" وَالَّذِينَ آمَنُوا " أي ومن آمن من الناس حقيقة لا نفاقا))[2]، وهذه الصفة تثبت أنّ هذه الآية قد نزلت بحق أمير المؤمنين، وهي فضيلة من فضائله التي أثبتها القرآن الكريم؛ لأنّ إيمانه كان حقيقيًا، ولم يقف ابن عطية عند هذا الحد بل يعطينا دليلًا اخر يثبت أنّ هذه الآية قد خصت أمير المؤمنين دون غيره من البشر ، فقد بيّن أنّ الإمام علي قد تصدق قبل نزول الآية فنزلت بحقه هذه الآية فكبر لها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: ((ولكن اتفق أنّ عليا بن أبي طالب أعطى صدقة وهو راكع، قال السدي: هذه الآية في جمع المؤمنين ولكن عليا بن أبي طالب مر به سائل، وهو راكع في المسجد فأعطاه خاتمه، وروي في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من بيته وقد نزلت عليه الآية فوجد مسكينا فقال له هل أعطاك أحد شيئا فقال نعم، أعطاني ذلك الرجل الذي يصلي خاتما من فضة، وأعطانيه وهو راكع، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا الرجل الذي أشار إليه علي بن أبي طالب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم، الله أكبر وتلا الآية على الناس)).[3]

أمّا القرطبي عندما تعرض لتفسير هذه الآية ساق رأيا لا يمكن القول به بل هو فنده بعد أسطر معدودة من كلامه فقال: ((وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ))[4]، فربما أنّ القرطبي قد ذكر ذلك القول أراد أن يضع فضيلة لأبي بكر قبال فضائل أمير المؤمنين، أو ربما إنّه كان يكتب كل شيء يراه أمامه دون تمحيص

(١) الهداية، المكان نفسه.
(٢) المحرر الوجيز ، ٢/ ٢٠٨
(٣) المصدر نفسه، المكان نفسه.
(٤) الجامع لأحكام القرآن ، ٦/ ٢٢١

أو تدقيق.

على أنّه بعد قليل يعود ويثبت أنّها نزلت بحق علي بن ابي طالب فيقول ((وَذَلِكَ أَنَّ سَائِلًا سَأَلَ فِي مَسْجِدِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ شَيْئًا، وَكَانَ عَلِيٌّ فِي الصَّلَاةِ فِي الرُّكُوعِ وَفِي يَمِينِهِ خَاتَمٌ، فَأَشَارَ إِلَى السَّائِلِ بِيَدِهِ حَتَّى أَخَذَهُ)).[1]

بل نجده يذكر حكمين شرعيين يجوز القيام بهما في أثناء الصلاة استنادًا الى ما قام به أمير المؤمنين من ذلك العمل، ((وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَمَلَ الْقَلِيلَ لَا يُبْطِلُ الصَّلَاةَ ، فَإِنَّ التَّصَدُّقَ بِالْخَاتَمِ فِي الرُّكُوعِ عَمَلٌ جَاءَ بِهِ فِي الصَّلَاةِ ، وَلَمْ تَبْطُلْ بِهِ الصَّلَاةُ. وَقَوْلُهُ:" وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ راكِعُونَ" يَدُلُّ عَلَى أَنَّ صَدَقَةَ التَّطَوُّعِ تُسَمَّى زَكَاةً؛ فَإِنَّ عَلِيًّا تَصَدَّقَ بِخَاتَمِهِ فِي الرُّكُوعِ)).[2]

كل تلك الإشارات تثبت أنّ هذه الآية المباركة قد نزلت بحق أمير المؤمنين؛ لأنّ المفسرين عندما يشيرو إلى أنّ هذه الآية نزلت بحق غيره لا يسيقون لنا قرائن؛ أو دلائل تثبت ذلك إلّا عندما يتكلمون عن أمير المؤمنين يسوقون تلك القرائن والدلائل .

لكن الأهم في ذلك تدخل لدينا مفردة الولاية هنا، وقد وقع خلاف كبير في كتب التفسير الأندلسية في فهمها فكل واحد منهم اعطى رأيًا بها فابن حيان عندما فسّر هذه الآية قال :((وَفُسِّرَ الْوَلِيُّ هُنَا بِالنَّاصِرِ، أَوِ الْمُتَوَلِّي الْأَمْرَ، أَوِ الْمُحِبِّ))[3]، وكل تلك الصفات قد اجتمعت في الإمام عليه السلام ، والالتفاتة الجميلة التي تثبت بأنّ أمير المؤمنين هو ولي الناس بعد الله ورسوله قوله ((وَالْمَعْنَى: لَا وَلِيَّ لَكُمْ إِلَّا اللهُ. وَقَالَ: وَلِيُّكُمْ بِالْإِفْرَادِ، وَلَمْ يَقُلْ أَوْلِيَاؤُكُمْ وَإِنْ كَانَ الْمُخْبَرُ بِهِ مُتَعَدِّدًا، لِأَنَّ وَلِيًّا اسْمُ جِنْسٍ، أَوْ لِأَنَّ الْوَلَايَةَ حَقِيقَةً هِيَ للهِ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ التَّأَصُّلِ، ثُمَّ نَظَمَ فِي سِلْكِهِ مَنْ

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٦/ ٢٢١.
(٢) المصدر نفسه ، ٦/ ٢٢١.
(٣) البحر المحيط ، ٤/ ٣٠٠.

ذُكِرَ عَلَى سَبِيلِ التَّبَعِ، وَلَوْ جَاءَ جَمْعًا لَمْ يُتَبَيَّنْ هَذَا الْمَعْنَى مِنَ الْأَصَالَةِ وَالتَّبَعِيَّةِ)). [1]

هنا قد بيّن المفسر أنّ الولاية الحقيقية على المؤمنين هي أولًا لله ، ثم تبعها الرسول صلى الله عليه وآله ، ثم الذين آمنوا وعدد صفاتهم، وهناك أمر مهم لم يلتفت إليه المفسرون الأندلسيون، وهو أنّ الله تعالى لم يقل والذي آمن بل قال والذين آمنوا، هنا إشارة الى امتداد الولاية حتى تصل الى الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ، وقد أشار الى ذلك الإمام الباقر عليه السلام،وقد استشهد به ابن حيان فقال ((وَسُئِلَ الْبَاقِرُ عَمَّنْ نَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ، أَهوَ عَلِيٌّ؟ فَقَالَ: عَلِيٌّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ))[2]، هنا يثبت الإمام الباقر عليه السلام أمرين مهمين، وهما أنّ الآية قد نزلت بحق أمير المؤمنين، والثاني أنّ المؤمنين هم علي وآله عليهم السلام فلا تقف الولاية عند الإمام علي عليه السلام بل تمتد لذريته من بعده.

وقد انسحبت تلك الآراء على قول النبي بحق علي بغدير خم فقد ذكرها بعضهم، فقال ((مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ))[3] ، وقد اجتهدوا في تفسير مفردة الولي فقال مكي: إنّ المولى والولي في اللغة: الناصر[4] ثم قال ((وقول النبي صلى الله عليه وسلم: " مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ " في تفسيره ...أقوال:

– أحدهما: أنّ معناه: من كنت أتولاه فعلي يتولاه.

– والثاني: من كان (يتولاني، يتولاه) علي))[5] ، ثم قال : ((قال ابن عباس: المولى الناصر وأكثر المفسرين على أنّ المولى هنا: الولي، والمعنى واحد، وعلى هذا يتناول قول النبي صلى الله عليه وسلم " من كنت مولاه فعلي مولاه أي: من كنت وليه وناصره فعلي وليه وناصره " ، وقيل معناه: من كان يتولاني وينصرني فهو يتولى

(١) البحر المحيط، ٤/ ٣٠٠.
(٢) المصدر نفسه، المكان نفسه.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ، ٢٦٦
(٤) الهداية ، ١٠/ ٦٧٤٨
(٥) المصدر نفسه ، ١٠/ ٦٧٤٨

[عليًا] وينصره))[1]، ولم يخص مكي في مسألة الخلافة، ومن يتولى أمر المسلمين بعد النبي بل اكتفى بهذه الأقوال، على أنّ المفسر الوحيد الذي خاض في تلك المسالة هو القرطبي ، فقال : ((قَالُوا: وَالْمَوْلَى فِي اللُّغَةِ بِمَعْنَى أَوْلَى، فَلَمَّا قَالَ: (فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ) بِفَاءِ التَّعْقِيبِ عُلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِقَوْلِهِ" مَوْلَى" أَنَّهُ أَحَقُّ وَأَوْلَى، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ أَرَادَ بِذَلِكَ الْإِمَامَةَ وَأَنَّهُ مُفْتَرَضُ الطَّاعَةِ))[2] ، وقد ذكر ذلك على سبيل الشاهد لكنه عاد لفند هذا القول، وإنّ المقصود بذلك ليس الخلافة من بعد النبي على المسلمين ، فقال : ((فَلَا خِلَافَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُرِدْ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ، وَلَا خِلَافَ أَنَّ هَارُونَ مَاتَ قَبْلَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَمَا كَانَ خَلِيفَةً بَعْدَهُ وَإِنَّمَا كَانَ الْخَلِيفَةُ يُوشَعَ بْنَ نُونٍ، فَلَوْ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: (أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى) الْخِلَافَةَ لَقَالَ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ يُوشَعَ مِنْ مُوسَى، فَلَمَّا لَمْ يَقُلْ هَذَا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ هَذَا، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنِّي اسْتَخْلَفْتُكَ عَلَى أَهْلِي فِي حَيَاتِي وَغَيْبُوبَتِي عَنْ أَهْلِي، كَمَا كَانَ هَارُونُ خَلِيفَةَ مُوسَى عَلَى قَوْمِهِ لَمَّا خَرَجَ إِلَى مناجاة ربّه))[3]، ولم يقف عند هذا الحد بل ذكر حديثًا عن الرسول ﷺ لم يرد ذكره في كتب الأحاديث فقال ((وَرُوِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: (أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى))[4] وهذا الحديث مؤكد أنّه من الموضوعات قبال فضائل أمير المؤمنين، لكن بعد العديد من الصفات في هذا التفسير ذكر شاهدًا يعزز تلك الواقعة في أنّ هذه الفضيلة كانت لعلي أمير المؤمنين دون غيره من الناس [5] ، إذ قال عندما فسرّ قوله تعالى ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[6] أتى شخصٌ للنبي محمد، وقد اعترض على هذا القول والتنصيب فقال ((إِنَّ السَّائِلَ هُنَا هُوَ الْحَارِثُ بْنُ النُّعْمَانِ الْفِهْرِيُّ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا بَلَغَهُ قَوْلُ النَّبِيِّ صَلَّى

(١) الهداية ، ١١/ ٦٧٤٨
(٢) الجامع لأحكام القرآن ، ١/ ٢٦٦
(٣) المصدر نفسه ، ١/ ٢٦٧.
(٤) المصدر نفسه ، ١/ ٢٦٧.
(٥) المصدر نفسه ، ١٨/ ٢٨٧.
(٦) سورة المعارج ، الآية : ١ .

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ) رَكِبَ نَاقَتَهُ فَجَاءَ حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ بِالْأَبْطَحِ ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَرْتَنَا عَنِ اللهِ أَنْ نشهد أن لا إله إِلَّا اللهُ وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ فَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَأَنْ نُصَلِّيَ خَمْسًا فَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَنُزَكِّيَ أَمْوَالَنَا فَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَأَنَّ نَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ فِي كُلِّ عَامٍ فَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ، وَأَنْ نَحُجَّ فَقَبِلْنَاهُ مِنْكَ، ثُمَّ لَمْ تَرْضَ بِهَذَا حَتَّى فَضَّلْتَ ابن عمك علينا! أفهذا شيء مِنْكَ أَمْ مِنَ اللهِ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ مَا هُوَ إِلَّا مِنَ اللهِ) فَوَلَّى الْحَارِثُ وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مُحَمَّدٌ حَقًّا فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ. فَوَ اللهِ مَا وَصَلَ إِلَى نَاقَتِهِ حَتَّى رَمَاهُ اللهُ بِحَجَرٍ فَوَقَعَ عَلَى دِمَاغِهِ فَخَرَجَ مِنْ دُبُرِهِ فَقَتَلَهُ، فَنَزَلَتْ: سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ)). [1]

الذي أريد أن أقوله إنّ الكثير من الآيات التي نزلت في أمير المؤمنين تكون لها شواهد جانية ، أو أحداث ترافقها فتذكرها كتب التفسير كما بيّناها في حين الفضائل الملصقة ببعض الشخصيات لا تكون لها شواهد أو حوادث، وإنّما تحاك وتحبك على غرار فضائل أمير المؤمنين، فهذا الأمر يبيّن أنّ فضائل أمير المؤمنين حقيقية وغيرها مزيفة .

ثالثاً : أفضلية المؤمن وبيان في من هو الفاسق :

لم تكن فضائل أمير المؤمنين لتنتهي عند هذا الحد بل أصبح هو فاصلًا ما بين المومن والفاسق، وأصبح التمييز عبره ما بين الفئتين فعندما تحدثت كتب التفسير الأندلسية عن قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾[2] ، أجمعت على أنّها نزلت بحق علي بن أبي طالب، ولم نجدها قد أشركت معه هذه المرة بهذه الفضيلة احدًا معه فقال مكي: ((إنّ المراد به أثنان بأعيانهما، وذلك أنّ الآية نزلت في قول ابن عباس وعطاء وغيرها في المدينة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه،

(١) الجامع لأحكام القرآن ، ١٨/ ٢٧٨.
(٢) سورة السجدة ، الآية : ١٨ .

والوليد بن عقبة بن أبي معيط قال عطاء: كان بين الوليد وعلي كلام، فقال الوليد " أنا أبْسطُ منك لسانًا وأحَدُّ منك سِنَانًا ، فقال له علي اسكت فإنك فاسق، فنزلت { أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً } الآية فيهما))[1]، وشايعه في ذلك التفسير ابن عطية فقال((وقوله تعالى: أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً الآية، روي عن عطاء بن يسار أنّها نزلت في علي بن أبي طالب: والوليد بن عقبة بن أبي معيط ؛ وذلك أنّهما تلاحيا فقال له الوليد: أنا أبسط منك لسانا وأحد سنانا وأرد للكتيبة، فقال له علي بن أبي طالب: اسكت فإنك فاسق، فنزلت الآية))[2] ، كذلك ذكر هذا الرأي القرطبي فقال :((قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَطَاءُ بْنُ يَسَارٍ: نَزَلَتِ الْآيَةُ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَالْوَلِيدِ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُمَا تَلَاحَيَا، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: أَنَا أَبْسَطُ مِنْكَ لِسَانًا وَأَحَدُّ سِنَانًا وارد للكتيبة- وروي وأملى فِي الْكَتِيبَةِ - جَسَدًا ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: اسْكُتْ! فَإِنَّكَ فَاسِقٌ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ. وَذَكَرَ الزَّجَّاجُ وَالنَّحَّاسُ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ))[3] ، وعندما فسر ابن العربي هذه الآية أكد أنّها خصت الإمام علي ﷺ،وقد ذكر رأيًا لطيفًا جدًا فقال إنّهما لا يستويان لا في الدنيا ، ولا عند الموت ، ولا في الاخرة ، فقال :((وَاَللَّهِ مَا اسْتَوَيَا فِي الدُّنْيَا، وَلَا عِنْدَ الْمَوْتِ، وَلَا فِي الْآخِرَةِ))[4] ، أما في سبب نزولها فقال: ((وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْمُؤْمِنِ، وَفِي عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ الْكَافِرِ، فَاخَرَ عُقْبَةُ عَلِيًّا، فَقَالَ: أَنَا أَبْسَطُ مِنْك لِسَانًا، وَأَحَدُّ سِنَانًا، وَأَمْلَأُ فِي الْكَتِيبَةِ مِنْك حَشْوًا. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: لَيْسَ كَمَا قُلْت يَا فَاسِقُ)).[5]

أمّا أبو حيان فكان أكثر تفصيلًا فيها، ولم يشر إلى أنّها نزلت في غير الإمام علي ﷺ، ومن قال إنّها نزلت في عامة المؤمنين لكنه خصها في علي بن أبي طالب ،

(١) الهداية ، ٩/ ٥٧٦٤.
(٢) المحرر الوجيز ، ٤/ ٣٦٣
(٣) الجامع لأحكام القرآن ، ١٤/ ١٠٥
(٤) أحكام القرآن ، ٣/ ٥٣٥.
(٥) المصدر نفسه، المكان نفسه.

فقال : ﴿ أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كانَ فاسِقاً ﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعَطَاءٌ: نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ وَالْوَلِيدِ بْنِ عقبة. تلاحيا، فَقَالَ لَهُ الْوَلِيدُ: أَنَا أَذْلَقُ مِنْكَ لِسَانًا، وَأَحَدُّ سِنَانًا، وَأَرَدُّ لِلْكَتِيبَةِ. فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: اسْكُتْ، فَإِنَّكَ فَاسِقٌ)).[1]

ونحن هنا نذكر تلك الآراء للمفسرين في هذه الآية المباركة، وإن كانت متشابهة لبيان أنّهم جميعًا قد اتفقوا على نزولها بحق الإمام علي عليه السلام ، وهم بذلك يؤكدون الولاية لأمير المؤمنين على الناس؛ لأنّ في ما سبق ذكرنا في إنّما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا، وهنا أكدوا أنّ الذي آمن هو الإمام علي عليه السلام،وقد أجمعوا عليه لذلك يمكن القول إنه أولى بالخلافة دون غيره .

المبحث الثالث

فضائل الإمام علي على لسان النبي صلى الله عليه وآله في كتب التفسير الأندلسية

كثيرة هي الفضائل التي خصت أمير المؤمنين على لسان النبي صلى الله عليه وآله لكنها في هذه جاءت متناثرة هنا وهناك، وإن سجلت على أنّها فضائل له لكنها أحيانًا يحاول بعضهم تفريغها من محتواها، وهذا ما سنراه في أثناء البحث.

اولًا : فضيلة المنزلة :

سجلت لنا كتب التفسير الأندلسية هذه الفضيلة لأمير المؤمنين عليه السلام فقال ابن عطية : ((أنت مني كهارون من موسى))[2] ، ويبدو أنّه قد نقل هذا الحديث في تفسيره كان على مضض فلم يأتِ بالحديث كاملًا، وقد أورده من أجل أن يفند أنّ الامام علي عليه السلام لم يكن أولى بالخلافة من غيره بعد النبي بدليل هذا الحديث فقال ((وَقَالَ مُوسى لِأَخِيهِ ... الآية، المعنى: وقال موسى حين أراد المضي للمناجاة والمغيب فيها، واخْلُفْنِي معناه كن خليفتي وهذا استخلاف في حياة كالوكالة التي

(١) البحر المحيط ، ٨/ ٤٣٨.
(٢) المحرر الوجيز ، ٢/ ٤٥٠

تنقضي بعزل الموكل ، أو موته لا يقتضي أنّه متماد بعد وفاة فينحل على هذا ما تعلق به الإمامية في قولهم : إن النبي صلى الله عليه وسلم استخلف عليا بقوله أنت مني كهارون من موسى ، وقال موسى اخْلُفْنِي فيترتب على هذا أنّ عليا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما ذكرناه يحل هذا القياس)). [١]

أمّا القرطبي فقد خاض كثيرًا في الحديث فذكره في ثلاثة مواضع من كتابه فقال :((وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَلِيٍّ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي))[٢] ، وهو بذلك يريد أن يفند فضيلة أمير المؤمنين بأنّه أولى بالرسول ﷺ فاخذ يقارن بين هارون والإمام علي ﷺ، فقال ((وَمَنْزِلَةُ هَارُونَ مَعْرُوفَةٌ، وَهُوَ أَنَّهُ كَانَ مُشَارِكًا لَهُ فِي النُّبُوَّةِ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِعَلِيٍّ، وَكَانَ أَخًا لَهُ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ لِعَلِيٍّ، وَكَانَ خَلِيفَةً، فَعُلِمَ أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْخِلَافَةُ))[٣]، وفي موضع آخر يتعرض لموضوع الخلافة ويبعدها عن أمير المؤمنين ، وأيضًا يستشهد بهذا الحديث فيقول : ((وَأَمَّا الْحَدِيثُ الثَّانِي فَلَا خِلَافَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يُرِدْ بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى الْخِلَافَةَ بَعْدَهُ، وَلَا خِلَافَ أَنَّ هَارُونَ مَاتَ قَبْلَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ... وَمَا كَانَ خَلِيفَةً بَعْدَهُ وَإِنَّمَا كَانَ الْخَلِيفَةُ يُوشَعَ بْنَ نُونٍ، فَلَوْ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: (أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى) الْخِلَافَةَ لَقَالَ: أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ يُوشَعَ مِنْ مُوسَى، فَلَمَّا لَمْ يَقُلْ هَذَا دَلَّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ هَذَا، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنِّي اسْتَخْلَفْتُكَ عَلَى أَهْلِي فِي حَيَاتِي وَغَيْبُوبَتِي عَنْ أَهْلِي)).[٤]

أمّا في الموضع الثالث فقد قال: ((وَقَدِ احْتَجَّ بَعْضُ قَاصِرِيهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لعلي: أنت مني وأنا منك))[٥] لكن عندما نأتي لناقش أقواله تلك لم تقف دليلًا فقد كان الإمام علي ﷺ أخا الرسول ﷺ وقد ورد في ذلك الكثير

(١) المحرر الوجيز ، ٢/ ٤٥٠
(٢) البحر المحيط ، ١/ ٢٦٦
(٣) المصدر نفسه، المكان نفسه.
(٤) البحر المحيط ، ١/ ٢٦٧.
(٥) المصدر نفسه ، ١٥/ ٢١٥.

من الأحاديث النبوية الصحيحة ، فقد ذكره ابن حنبل في باب فضائل الصحابة فقال ((وَقَالَ لِعَلِيٍّ: أَنْتَ أَخِي، وَأَنَا أَخُوكَ))[1] ذكر ذلك في مسنده فقال : ((وَقَالَ لِعَلِيٍّ: " أَنْتَ أَخِي وَصَاحِبِي))[2] ، والترمذي ذكره أيضًا فقال ((فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ))[3]، وغيرها الكثير من كتب الحديث ذكرت ذلك الحديث وأيّدت صحته لكن القرطبي قد وهم فجعلها إخوة الدم ، ولم يعدها منزلة أمير المؤمنين عند الرسول صلى الله عليه وآله ، وعلى نهج القرطبي سار ابو حيان بل ناقش ذلك الحديث بشيء بعيد عن المنطق ، فقال في مفردة استخلفني أي : استبد بالأمر من بعدي وذلك في حياته[4] فإنّه أراد أن يقول إنّ صلاحية خلافة هارون لموسى فقط مدة محدودة ، وهي مدة المناجاة فقال ((وَلَيْسَ الْمَعْنَى أَنَّكَ تَكُونُ خَلِيفَتِي بَعْدَ مَوْتِي أَلَا تَرَى أَنَّ هَارُونَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَاتَ قَبْلَ مُوسَى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وَلَيْسَ فِي قَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ "أَنْتَ مِنِّي كَهَارُونَ مِنْ مُوسَى" دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ خَلِيفَتُهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، إِذْ لَمْ يَكُنْ هَارُونُ خَلِيفَةً بَعْدَ مَوْتِ مُوسَى وَإِنَّمَا اسْتَخْلَفَ الرَّسُولُ عَلِيًّا عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ إِذْ سَافَرَ الرَّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، كَمَا اسْتَخْلَفَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ عَلَى الْمَدِينَةِ فَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَكُونُ خَلِيفَةً بَعْدَ مَوْتِ الرَّسُولِ)).[5]

كل هذه التفاصيل من اجل إفراغ أحاديث النبي من محتواها الصحيح بحق أمير المؤمنين عليه السلام في حين القرآن صريح صحيح فقد أشرك هارون في كل شيء مع أخيه موسى، وكذلك فعل النبي، ولو كان هارون حيًّا بعد موسى لم يجرؤ أحدٌ على أن يأخذ الخلافة منه على العكس ما فعلوا مع أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) فضائل الصحابة/ ابن حنبل ، ٢/ ٥٩٧.
(٢) مسند ابن حنبل / ابن حنبل ، ٣/ ٤٨٠.
(٣) سنن الترمذي ، ٦/ ٨٠.
(٤) البحر المحيط ، ٥/ ١٦١.
(٥) المصدر نفسه، المكان نفسه.

ثانيًا : فضيلة الأذن الواعية :

الوعي جعل الشيء في الوعاء، والمراد بوعي الأذن لها تقريرها في النفس وحفظها فيها لترتب عليها فائدتها وهي التذكر والاتعاظ، وهي بجملتيها إشارة إلى الهداية الربوبية بكلا قسميها أعني الهداية بمعنى إراءة الطريق والهداية بمعنى الإيصال إلى المطلوب.[1]

وهذا المعنى أشارت إليه كتب التفسير الأندلسية عندما تطرقت للحديث عن الآية المباركة ﴿ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴾[2] ، فذكر مكي أنّ هذه الفضيلة قد عدت لعلي بن أبي طالب دون غيره ، وذكر قول النبي ﷺ بحق الامام علي عليه السلام فقال : ((وروي أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قرأ: {وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَاعِيَةٌ} ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى عَلِيٍّ رضي الله عنه فقال: سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ ، قال عَلِيٌّ: فَمَا سَمِعْتُ شَيْئاً مِنْ رَسُولِ اللهِ قَطّ فَنَسِيتُهُ))[3] ، وقال [بريدة] ((: " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلي: [يا علي] ، إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ [أُدْنِيَكَ] ولاَ أُقْصِيَكَ، [وَأَنْ أُعَلِّمَكَ] وَأَنْ تَعِيَ ، وَحَق عَلَى الله أن [تَعِي)[4] هذا الشيء وهذه الفضيلة أكدها ابن عطية فقال : ((ويروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه:(إني دعوت الله تعالى أن يجعلها أذنك يا علي) ، قال علي: فما سمعت بعد ذلك شيئا فنسيته))[5] ، أما القرطبي فقد شايعهم في جعل تلك الفضيلة لعلي بن أبي طالب دون غيره فقال : ((وَرَوَى مَكْحُولٌ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عِنْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ: (سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَ عَلِيٍّ) ، قَالَ مَكْحُولٌ: فَكَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ مَا سَمِعْتُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا قَطُّ فَنَسِيتُهُ إِلَّا وَحَفِظْتُهُ ، ذَكَرَهُ الْمَاوَرْدِيُّ ، وَعَنِ الْحَسَنِ نَحْوَهُ ذَكَرَهُ الثَّعْلَبِيُّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ وَتَعِيَهَا

(١) الميزان/ الطباطبائي ، ١٩/ ٣٩٤.
(٢) سورة الحاقة ، الآية : ١٢ .
(٣) الهداية ، ١٢/ ١٧٧١
(٤) المصدر نفسه، المكان نفسه.
(٥) المحرر الوجيز ، ٥/ ٣٥٨.

أُذُنٌ واعِيَةٌ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ يَا عَلِيُّ) قَالَ عَلِيٌّ: فَوَاللهِ مَا نَسِيتُ شَيْئًا بَعْدُ، وَمَا كَانَ لِي أَنْ أَنْسَى ، وَقَالَ أَبُو بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيٍّ: (يَا عَلِيُّ إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أُدْنِيَكَ وَلَا أُقْصِيَكَ وَأَنْ أُعَلِّمَكَ وَأَنْ تَعِيَ وَحَقٌّ عَلَى اللهِ أَنْ تَعِيَ)).[1]

أمّا ابن جزي فقد أشاد بتلك الفضيلة للإمام علي عليه السلام فبعد أن أشار الى أنّها للإمام علي عليه السلام قال: ((أذن واعية بالتوحيد والتنكير؛ للدلالة على قلة الوعاة ؛ ولتوبيخ الناس بقلة من يعي منهم ، وللدلالة على أنّ الأذن الواحدة إذا عقلت عن الله تعالى فهي المعتبرة عند الله دون غيرها))[2]، وهذه الصفات التي ذكرها كلها في الإمام علي بل هو في مقدمتها.

الخاتمة وأهم النتائج

أولًا : إنّ فضائل أمير المؤمنين عليه السلام كثيرة ومتنوعة وقد وردت عن طرق عدة يأتي في مقدمتها القرآن الكريم، وقد ظهرت في أسباب نزول الآيات، وهي كثيرة ومتنوعة ، فضلًا عن فضائله التي ظهرت على لسان النبي صلى الله عليه وآله .

ثانيًا: حاول بعض أصحاب كتب التفسير الأندلسية تغييب فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك عن طريقين: الأول هو إشراك بعض الاأشخاص في فضائله حرصًا منهم على تجميل صورة الآخر، والثاني غض النظر عن بعض فضائله فلم يتطرقوا إليها ، أو يشيروا إليها إشارات بسيطة هنا وهناك .

ثالثًا : ظهر في هذه التفاسير لأمير المؤمنين فضائل لم يشترك معه بها غيره ، على الرغم من أنّهم كانوا حريصين كل الحرص على إشراك الآخرين معه في فضائله لكنها بقيت خاصّة له عليه السلام،وقد تمثل ذلك في آية المؤمن والفاسق فقد أثبتت لأمير المؤمنين الإيمان ولغيره الفسق.

(١) الجامع لأحكام القرآن ، ١٨ / ٢٦٤.
(٢) التسهيل لعلوم التنزيل ، ٢/ ٤٠٥.

رابعًا : وجدنا أنّ معظم آرائهم تناقش حب الشيعة للإمام علي ﷺ فيعدون بعضها غلوًا، ويقولون هذه من وضع الرافضة لكن هذا الكلام غير صحيح فكان أغلبها مشهورًا بين الفريقين متمثلة في حديث مدينة العلم قالوا : بأنّه موضوع من الرافضة في حين هو مشهور عند الفريقين.

خامسًا : بعض التفاسير الأندلسية لم تذكر بعض الفضائل فلم نجدها فيها ، لاسيما المتقدمة منها أمّا أن يكون السبب هو بعدها عن واقع الحدث ، أو أنّ مؤلفيها لم يكونوا من الموالين له ، أو واقعين تحت تأثير السلطة.

التوصيات : بعد البحث والتحليل يوصي الباحثان بما يأتي :

اولًا: العمل على استخراج فضائل أمير المؤمنين ﷺ ليس فقط من التفاسير بل من جميع التصانيف الأندلسية ، ودراستها دراسة تحليلية تطبيقية مما جاء في الكتب الأخرى .

ثانيًا : تحقيق ودراسة كتب التفسير الأندلسية ؛ لأنّ أغلبها لم يحقق.

ثالثًا : إدخال كتب التفسير الأندلسية ، وفضائل الرسول وأهل بيته عند أهل الأندلس في مناهج الكليات الانسانية في العراق.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الإحاطة في أخبار غرناطة، ابن الخطيب، محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني(ت ٧٧٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ.

٣. أحكام القرآن، ابن العربي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ٢٠٠٤م.

٤. الأعلام، الزركلي ،خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م.

٥. بحار الانوار، العلامة المجلسي(ت١١١١هـ)، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت، ١٩٨٣م.

٦. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان(ت٧٥٤هـ) ، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠هـ.

٧. التسهيل لعلوم التنزيل، ابن الجزي ، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (ت ٧٤١هـ) ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ١٤١٦هـ.

٨. الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري(ت٦٧١هـ) ، دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٩٦٤م.

٩. الذيل على جزء بقي بن مخلد من أحاديث الحوض، ط١، تح : عبد القادر محمد عطا صوفي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ١٩٩٠م

١٠. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي(ت٥٤٢م) ، دار الكتب العلمية – بيروت، ٢٠٠٩م.

١١. معجم أصحاب القاضي أبي علي الصدفي، ابن الأبار، محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي (ت ٦٥٨هـ) ، مكتبة الثقافة الدينية – مصر، ٢٠٠٠م.

١٢. الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، القرطبي ، أبو محمد مكي بن أبي طالب(ت٤٣٧هـ)، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ٢٠٠٨م

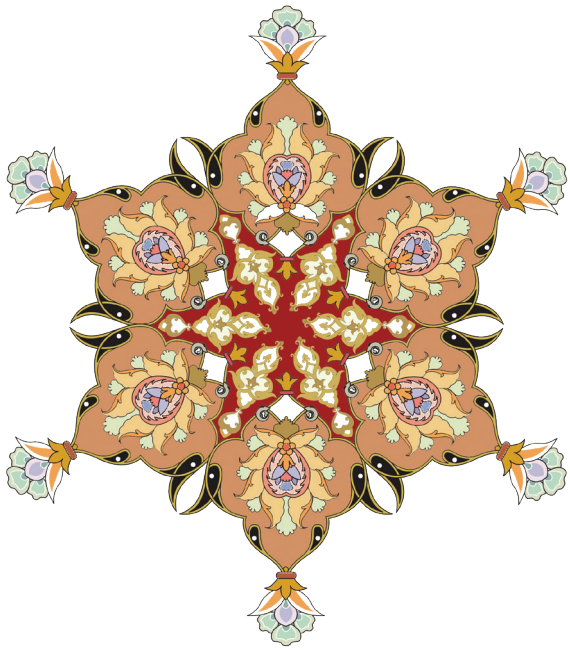

وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ